اليهود القراؤون وتأثرهم بالفكر الإسلامي

رابح بوترفاس

جامعة تلمسان

مقدمـــة:

عرفت اليهودية عبر تاريخها الطويل ظهور عديد الفرق الدينية، باد الكثير منها، واستمر بعضها في الوجود إلى وقتنا هذا، وتعد فرقة القرائين إحدى أبرز الفرق اليهودية، حيث ظهرت في البيئة الإسلامية في مطلع خلافة العباسيين، واستمر وجودها إلى وقتنا الحالي، و مثلت هذه الفرقة أثناء ظهورها أكبر خطر هدد اليهودية الرسمية الربانية، حيث رفضت تقديس التلمود واعتبرته كتابا يحوي اجتهادات بشرية غير ملزمة لهم، وقد كان للفكر الإسلامي أثره في تشكل فكر هذه الفرقة وتطوره، وهو ما يسعى هذا المقال لتسليط الضوء عليه، وقبل هذا التعريف بهذه الفرقة اليهودية المغمورة في ثقافتنا العربية الإسلامية المعاصرة.

وتحرك هذا البحث مجموعة من التساؤلات، من أهمها:

- كيف ظهر القراؤون؟ وما هي تطوراتهم بعد ذلك؟
- ما هي أبرز عقائدهم؟ وكيف كانت علاقتهم بالتلموديين ممثلي اليهودية الرسمية؟
- ماهي دلائل تأثرهم بالفكر الإسلامي؟

ولمحاولة الإجابة على هذه التساؤلات، صغنا بحثنا وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: التعريف بالقرائين

المطلب الأول: نشأتهم وتطورهم

المطلب الثاني: عقائدهم وعلاقتهم بالربانيين

المبحث الثاني: مجالات تأثر القرائين بالفكر الإسلامي

المطلب الأول: علم الكلام

المطلب الثاني: أصول الفقه

المطلب الثالث: الفقه

المطلب الرابع: علوم اللغة

وعن مصادر ومراجع الدراسة، فقد حاولنا قدر الإمكان الحصول على مؤلفات القرائين، وقد عدنا إلى ثلاثة من مؤلفاتهم، أولها كتاب "الأنوار والمراقب" لأبي يوسف يعقوب القرقساني الذي عاش في القرن العاشر الميلادي بالعراق، والكتاب يحوي تاريخ وفقه وكلام الفرقة، وربما هو أول كتاب ليهودي يؤرخ للفرق اليهودية[1]. وثاني هذه المصادر كتاب "شعار الخضر" وهو ترجمة مختصرة لأحد أهم كتب الفقه القرائي، الذي أسماه مؤلفه "إلياهو بن موسى بشياجي" (ت1490م) "أدرت إلياهو" أي رداء أو بردة إلياهو، وهو أهم فقيه قرائي ظهر في القرن الخامس عشر في بيزنطة[2]، ويذكر مترجمه من العبرية إلى العربية، أنه آخر مؤلف من نوعه وعليه الفتوى[3]. و مترجم الكتاب هو المحامي والشاعر المصري مراد فرج (ت1956م) من مسؤولي القرائين الكبار والمؤثرين بينهم[4]، وهو صاحب ثالث مصدر قرائي في هذا البحث، والموسوم بـ "القراؤن والربانون" وفيه يتحدث عن فرقتي القرائين والربانيين والاختلافات بينهما، ويتناول فيه أيضا علماء القرائين ومؤلفاتهم. وبالإضافة إلى مؤلفات القرائين عدنا أيضا إلى مؤلفات خصومهم من علماء التلموديين القدماء الكبار أمثال سعديا الفيومي (ت330هـ/ 942م) وموسى بن ميمون (ت601هـ/ 1204م)، هذا

---

[1] مديرية الدراسة والتوثيق، الإثنيات العرقيات والطوائف اليهودية في إسرائيل، مركز باحث للدراسات، بيروت، ط1، د.ت، ص510

[2] جعفر هادي حسن، تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر، العارف للمطبوعات، بيروت، ط2، 2014، ص251

[3] مراد فرج، شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين، مطبعة الرغائب، مصر، 1917، ص3

[4] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص225 وجاء في الصفحة نفسها أن مراد فرج كان أيضا المحامي لقضايا الملك الشخصية، وكان عضوا في اللجنة التي أنشأها الملك فؤاد لكتابة دستور مصر بعد استقلالها.

بالإضافة إلى عديد المؤلفات المعاصرة في الديانة والفكر اليهوديين، ومن أهمها كتاب "تاريخ اليهود القرائين" لجعفر هادي حسن، الباحث العراقي المختص في اللغة العبرية والدراسات اليهودية.

المبحث الأول: التعريف بالقرائين

المطلب الأول: نشأتهم وتطورهم

أولا: نشأتهم

تجمع معظم الآراء على أن أصول القرائين تعود إلى القرن الثامن الميلادي، والمأثورات القرائية، والربانية على السواء تربط هذه الأصول بظهور "عنان بن داود"، و الذي عرف أتباعه بالعنانيين وأطلق على حركتهم العنانية[1]، وقد ورد هذا الاسم في مؤلفات المسلمين القدامى[2]. أما اسم القرائين فقد ظهر بعد عنان بحوالي مائة عام، وهذا في كتابات بنيامين النهاوندي (ت860م)[3]، الذي يعد أحد أبرز علماءهم الأوائل و سيأتي الحديث عنه لاحقا.

وسموا "بنو المقرا" (בנימקרא) أو "أصحاب المقرا" (בעלימקרא) و هي أسماء تدل على اعتمادهم على المقرا فقط (أي التوراة) باعتبارها المصدر الوحيد للتشريع وعدم الاعتراف بالتشريعات الشفوية (التلمودية)[4]، وهناك من ترجم الاسمين الأخيرين على أنهما "بنو الدعوة" أو

---

[1] محمد الهواري، تفسير الوصايا العشر في المخطوطات العربية اليهودية، دار الزهراء، القاهرة، 1993، ص14

[2] من هؤلاء: علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، صححه وراجعه: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، مصر، 1938، ص98،187. والشهرستاني، الملل والنحل، أشرف عليه وقدم له: صدقي جميل العطار، بيروت، دار الفكر، 2008، ص174، والبيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تح: إداورد ساخاو، ليبزج، 1878، ص58، ويلاحظ أن البيروني خلط بين عنان بن داود وبين حفيده عنان بن دانيال بن شاول بن عنان بن داود.

[3] محمد الهواري، مرجع سابق، ص14، و جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص38،39

[4] محمد الهواري، مرجع سابق، ص14 و محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2016، ص308،309، وبخصوص "المقرا" فهي من الأسماء التي يطلقها اليهود على كتابهم المقدس (التوراة)، وهذا على خلاف "العهد القديم" الذي يعد تسمية مسيحية وليست يهودية، والمقرا تعني المقروء، وقد استخدم اليهود هذا الاسم ليميزوا بين التوراة (الشريعة المكتوبة) وبين التوراة الشفوية (الشريعة الشفوية أو التلمود) واستخدم أيضا للدلالة على المصدر العبري للنصوص المقدسة لتمييزها عن الترجوميم الآرامية التي تعني تفسير النص العبري، ولمزيد من التفاصيل حول المقرا

"أصحاب الدعوة"، باعتبار الكلمة الثانية في كل منهما مشتقة من الفعل קרא بمعنى "دعا"؛ لأنهم كانوا يدعون إلى طريقتهم فينتشرون في طول البلاد وعرضها للإقناع والاستمالة[1].

و يرى القراؤون أن عنان لم يكن إلا الحلقة الأخيرة في سلسلة الخلاف المتواصل مع الربانيين، والذي بدأ مع الهيكل الأول[2]، بينما نجد أن المصادر الربانية تكاد تتفق على ربط انتشار القرائين بأسباب شخصية تتعلق بعنان[3]، حيث دبت العداوة في قلبه لأكابر اليهود في بابل لاختيارهم بدلا عنه أخاه الصغير "حنانيا" لمنصب الرئاسة وقد منعوها عنه لفجره وقلة تقواه[4]، حسب رواية الربانيين.

ومهما يكن فقد ارتبط ظهور القرائين تاريخيا بعنان بن داود، وبخصوص أسباب نشأة القرائين يذكر "عبد الوهاب المسيري" في موسوعته[5]: « أن ظهور هذه الفرقة يعود إلى عدة أسباب وعوامل

والتسميات اليهودية الأخرى، يراجع: سعديا الفيومي، تفسير التوراة بالعربية، أخرجه وصححه: يوسف درينبورج، نقله إلى الخط العربي وقدم له وعلق عليه: سعيد عطية مطاوع وأحمد عبد المقصود الجندي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2016، ص7-12

[1] مراد فرج، القراؤون والربانون، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2011، ص48-50 ومحمد الهواري، مرجع سابق، ص14 وانظر أيضا عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط، 1994، ص177

[2] محمد جلاء إدريس، التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط، 1993، ص32 فالقراؤون يرون أنفسهم اليهود الأصليون، وأن الربانيين جماعة من المهرطقين الذين أفسدوا اليهودية الأصلية منذ أيام يربعام بن نباط، حوالي سنة 933 ق.م، الذي ضل وصنع لهم عجلين، بينما يرون أنفسهم حفظة وصايا موسى وتوراته ورفضوا ضلال الربانيين. محمد الهواري، مرجع سابق، ص16 ومراد فرج، القراؤون والربانون، مصدر سابق، ص43 وللقرائين رواية أخرى ترجع سبب ضلال الربانيين إلى شمعون بن شطاح الذي لفق التلمود، ونشره بين الربانيين باعتباره التوراة الشفوية التي منحها الرب لموسى على جبل سيناء وهذا على أيام يوحنا هيركانوس خامس من حكم من أسرة الحشمونيين (135-104ق.م)، محمد الهواري، مرجع سابق، ص18 ومراد فرج، القراؤون والربانون، مصدر سابق، ص60-63

[3] محمد جلاء إدريس، مرجع سابق، ص32 و عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999، مج5، ص329

[4] مراد فرج، القراؤون والربانون، مصدر سابق، ص69

[5] عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، مج5، ص329

داخل التشكيل الديني اليهودي وخارجه، من أهمها انتشار الإسلام في الشرق الأدنى وطرحه مفاهيم دينية وأطراً فكرية جديدة كانت تشكل تحدياً حقيقياً للفكر الديني اليهودي وبخاصة بعد أن غلبت عليه النزعة الحلولية الموجودة داخله». وبظهور الإسلام تغير واقع اليهود بشكل كبير، وتشجع المعارضون لليهودية الرسمية أي اليهودية الربانية التلمودية على رفع أصواتهم بالنقد، وبدأ بالظهور بين فترة وأخرى يهود يبدون رفضهم لما اعتقدوه انحرافا لليهودية الصحيحة، بعد أن أحجموا سابقا خوفا من سلطة الحاخامات، وقد وصف دانيال القومسي أحد علماءهم الأوائل هذا التغير الحاصل بقوله: «لأنه منذ بداية النفي، ومنذ مملكة اليونان والرومان والمجوس، فإن الربانيين هم الذين كانوا المسؤولين والقضاة، فلم يكونوا يتمكنون حتى من فتح أفواههم، من أجل أن يطبقوا فرائض الرب، لأنهم كانوا يخافون الربانيين. ولكن بعدما جاءت مملكة إسماعيل (المسلمين) أصبحت الأمور أفضل، لأن بني إسماعيل يساعدون القرائين دائما لتطبيق شريعة موسى، ولذلك علينا أن نباركهم من أجل ذلك. والآن أنتم في مملكة إسماعيل... إذن لماذا تخافون الحاخامين... إذ أزال الله في هذه المملكة نير الحاخامين عن ظهوركم»[1].

وقد ظهر في ظل الإسلام، منشقون آخرون سبقوا عنان في مهاجمته للتلمود وإنكاره له، والذي كان ما يزال حديث العهد بالجمع والتثبيت والتسجيل، ولكن حركاتهم كانت محدود في الزمان والمكان والقوة، ومن أشهر هؤلاء المنشقين والمعارضين "سيرينوس" ثم "أبو عيسى الأصفهاني" وتلميذه "يودجان" من بعده[2].

وقد كان عنان بن داود عالما يهوديا عراقيا، ظهر كمعارض للتلموديين خلال خلافة أبي جعفر المنصور (ت158هـ/ 775م) كما يذكر القرائي صاحب "الأنوار والمراقب" وغيره[3]، ففي النصف الأخير من القرن الثامن الميلادي (حوالي سنة 761م) توفي حاخام العراق الأكبر، ورأس الجالوت

---

[1] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص16

[2] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ط4، 1999، ص248

[3] جعفر هادي حسن، مرجع سابق ، ص25. ويعقوب القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، نيويورك، 1939، مج1، ص13

في الدولة الإسلامية، وزعيم المحافظين على التلمود بحكم منصبه، وكان أحق المرشحين لذلك ابن أخيه عنان بن داود. وكان عنان معروفا بميوله التحررية، ورفضه مرجعية التلمود وقدسيته، ورأى أن القدسية للتوراة وحدها، وهذا جعل علماء التلموديين يرفضون تعيينه رئيسا للجالية، واختاروا بدلا منه أخاه حنانيا، رغم أنه الأصغر سنا والأقل علما. وقد رفض عنان الاعتراف بأخيه، و عين نفسه رئيسا للجالوت، و أيده عدد من أصدقائه وأتباعه الذين التفوا حوله، وخوفا من تأثيره على اليهود شكته المؤسسة التلمودية إلى الحكومة في بغداد، بتهمة الارتداد عن الدين، وعدم الاعتراف باليهودية الرسمية. و عليه تم القبض على عنان، وأودع السجن، وكان من المتوقع إعدامه[1] .

وتذكر بعض روايات القرائين أنه التقى في السجن بالإمام أبي حنيفة النعمان، الذي اقترح عليه أن يشرح للخليفة معتقده في اليهودية وأنه صاحب رأي يخالف التلموديين، ولم يرتد عن دينه، وبعد لقاءه بالخليفة أخرجه من السجن وأطلق سراحه[2]. وبعد وفاة عنان اعتبره القراؤون قديسا، وجعلوا له دعاء خاصا في صلواتهم، وقد تولي رئاستهم بعد موته ابنه شاؤل[3].

ثانيا: تطورهم بعد عنان بن داود

---

[1] جعفر هادي حسن، مرجع سابق ، ص26،27 ومحمد الهواري، مرجع سابق، ص20 وحسن ظاظا، مرجع سابق، ص248، وعن منصب "رأس الجالوت" يقول الباحث اليهودي المغربي "حاييم الزعفراني": «يعتبر رأس الجالوت سلطة دنيوية بشكل من الأشكال، وله الكلمة العليا في مجموع طوائف الشتات في أرض الإسلام، ويتمتع بسلطة عليا يخولها له بنو جلدته، كما تخولها له سلطة الخليفة الذي يعتبره الناطق الوحيد باسم اليهود، فيتمتع تبعا لذلك بوضع له امتيازه الخاص ومكانة اجتماعية ما فوقها من مكانة، وهو ينتسب في حقيقة الأمر إلى هذه الأرستقراطية التي تستمد قداستها من أصول يقال إنها تعود إلى عهود الملك داود.» حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، مرسم، الرباط، د.ط، 2000، ج1، ص49، ولمزيد من التفاصيل عن رأس الجالوت، يراجع: عطية القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، د.ط، 2001، ص45-53

[2] جعفر هادي حسن، مرجع سابق ، ص27،28 وبنيامين بن يونة التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تر: عزرا حداد، تح: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق، ط1، 2014، ص241

[3] حسن ظاظا، مرجع سابق، ص252

من أبرز الذين ظهروا بعد عنان "بنيامين النهاوندي" (ت860م) وينسب إلى مدينة نهاوند في إيران، وهو من أطلق على أتباع عنان اسم القرائين كما ذكرنا سابقا، وكان النهاوندي قاضيا لليهود في نهاوند، ويعتبره القراؤون الرجل الثاني بعد عنان علما ومنزلة، و يعده بعض علماء التلموديين مع عنان مؤسسا للقرائين، كما أن علماء المسلمين القدامى كانوا يطلقون على القرائين "أصحاب عنان والنهاوندي"[1]. وربما كان النهاوندي أول من خاض في مسائل علم الكلام من اليهود، ومن المسائل التي اهتم بها مسألة نفي التجسيم عن الله، والتي احتلت موقعا هاما في بحوث القرائين، وأصبحت من مواضع الخلاف مع الربانيين، ويذكر الدارسون أن للمعتزلة تأثيرا على النهاوندي في هذه المسألة[2].

وظهر بعد النهاوندي بحوالي ثلاثين سنة "دانيال القومسي"، من منطقة طبرستان في شمال فارس، ورغم أن كثيرا من آراء النهاوندي والقومسي في العقيدة والشريعة لم يتقبلها القراؤون، إلا أن أعمالهما كانت لها أهمية خاصة في بلورة القرائية وتميزها عن اليهودية الربانية[3].

يعد القرن العاشر والحادي عشر، العصر الذهبي للقرائين، ومما تميزت به هذه الفترة[4]:

- انتشار القرائين حتى وصلوا أطراف المغرب وشمال الأندلس غربا، وحتى بيزنطة شمالا.

- غزارة إنتاجهم الفكري، الذي كان معظمه بالعربية اليهودية، في مجالات متنوعة، منها تفسيرات أسفار التوراة، ومؤلفات في اللغة العبرية والمعاجم، ومؤلفات دينية في التشريعات والأحكام وغيرها.

- اشتداد الجدل مع الربانيين، وخاصة في أعقاب ظهور كتابات سعديا الفيومي.

---

[1] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص38،39

[2] المرجع نفسه، ص42 و محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ط2، 2001، ص175،176

[3] محمد الهواري، مرجع سابق، ص25،27 و جعفر هادي حسن، مرجع سابق 49، وللاطلاع على مشاهير علماء القرائين ومؤلفاتهم تفصيلا ينظر مراد فرج، القراؤون والربانون، مصدر سابق، ص 90-110

[4] محمد الهواري، مرجع سابق، ص30،31

وفي أوائل القرن العاشر الميلادي قوي مركز القرائين في القدس حتى اضطر المعهد الديني العالي (اليشيفا) الرباني ورؤساؤه إلى الانتقال إلى رملة. وقد تبوأ القراؤون أماكن مميزة وبارزة في بلاط الحكام المسلمين في الشرق، وبخاصة عند الفاطميين بمصر حيث شغلوا مناصب المستشارين وجباة الضرائب والأطباء، و كما كان لهم تأثير ملحوظ في بلاطهم خلال القرن الثاني عشر وزاد عدد القرائين العاملين في الوظائف الرسمية وبخاصة في عصر الأيوبيين[1].

واستمرت الحركة العلمية للقرائين نشيطة حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي، ثم جمدت بعد ذلك، وقد تقلص ظلهم في العصر الحديث، مع انتشار الربانيين بعددهم الكبير في أوروبا وأمريكا وكثير من البلاد الذي استعمرها الغرب في إفريقيا وآسيا، ما أدى إلى الوصول إلى مستوى حضاري ومالي وسياسي لا يستهان به، بينما ظل القراؤون منكمشين في الشرق، وقد أدى هذا الفرق الكبير إلى ما يشبه أن يكون سحقا للقرائين على يد الربانيين[2].

المطلب الثاني: عقائدهم وعلاقتهم بالربانيين

أولا- عقائد القرائين

اعتبر القراؤون التوراة المصدر الوحيد لليهودية، كما أنهم سمحوا بحرية دراستها، ولم يلزموا أنفسهم بآراء من سبقهم، وفي هذا ينقل عن مؤسس القرائية عنان قوله:«ابحث بعمق في التوراة ولا تعتمد على رأيي»؛ حيث لا توجد قيود على الفهم الفردي الحر للتوراة وهذا يشبه منهج علماء الإسلام، حيث لا توجد قيود أيضا في فهم القرآن الكريم، و لكل شخص امتلك الأدوات المعرفية الحق في فهمه وتفسيره، حيث لا يوجد كهنوت في الإسلام يحتكر تفسير النصوص كما هو الشأن في

---

[1] محمد جلاء إدريس، ص40،41

[2] حسن ظاظا، مرجع سابق، ص253،254

المسيحية واليهودية الربانية، وعليه وضع القراؤون أيضا أصولا لاستنباط الأحكام شبيهة بالأصول الإسلامية[1]، وهو ما سنتحدث عنه في المبحث الثاني في مطلبه الثاني.

وتتكون عقيدة القرائين من عشرة أركان أساسية، هي كالآتي[2]:

1- أن الله هو خالق العالم الطبيعي والروحي في الزمان ومن العدم.

2- أن الله خالق غير مخلوق.

3- أن الله واحد بلا كيف، وليس كمثله شيء، منفرد ولا جسم له ومطلق في وحدانيته.

4- أن الله أرسل موسى -عليه السلام- (الاعتقاد فيالنبوة والأنبياء)

5- أن الله أرسل التوراة من خلال موسى -عليه السلام- والتي تشمل على الحقيقة الكاملة ولا تكملها ولا تنسخها أي شريعة أخرى وبخاصة الشريعة الشفوية التي يعترف بها الربانيون.

6- أنه على كل مؤمن أن يعرف التوراة في لغتها الأصلية، وفي معناها الصحيح.

7- أن الله أوحى بنفسه إلى الأنبياء الآخرين وإن كانوا أقل من موسى عليه السلام في النبوة.

8- أن الله يبعث الموتى يوم الحساب.

9- أن الله يجازي كل إنسان حسب طريقة حياته وأفعاله (ويشمل هذا على الفردية وحرية الإرادة وخلود الروح وعدالة الثواب والعقاب في الآخرة)

---

[1] محمد خليفة حسن، مرجع سابق، ص311،312. للاطلاع على الاختلافات بين القرائين والربانيين تفصيلا يراجع: مراد فرج، القراؤون والربانون، مصدر سابق، ص112-149 ومحمد الهواري، مرجع سابق، ص32-67، وجعفر هادي حسن، مرجع سابق ، ص379-420، ومن أبرز قضايا الاختلاف التي تذكر بين الفرقتين قضية التقويم السنوي وتحديد اليوم الأول من الشهر، وكانت هذه القضية مثارا للجدال بينهما منذ ظهور عنان، وظلت عاملا للنزاع في كل مكان اجتمع فيه أتباعهما معا، فبينما يعتمد الربانيون على نظام الحسابات الفلكية، يعتمد القراؤون على رؤية الهلال في تحديد بداية الشهور، ونتيجة لهذا الأمر تختلف الأعياد والمناسبات المهمة في كثير من الأحيان بينهما.

[2] محمد خليفة حسن، مرجع سابق، ص312-314

10- أن الله لا يحتقر المنفيين بل هو يطهرهم من خلال شقائهم ومعاناتهم في المنفى وهم يتطلعون إلى الخلاص الإلهي من خلال المسيح المخلص من بيت داود (ويرفض بعض القرائين عقيدة المسيح المخلص)

سنرجئ الحديث عن الأثر الإسلامي في الفكر العقدي القرائي إلى المبحث الثاني، ولكن نود أن نشير هنا إلى ما ذكره بعض الباحثين ومنهم "المسيري" في موسوعته[1]، من أن اليهودية الربانية نفسها، وهي اليهودية الرسمية التي تمثل سواد اليهود، كانت العقيدة فيها مجموعة من الممارسات و الفتاوى التي تصدر حسب الحاجة، ويُعَدُّ سعديا الفيومي(ت942م) أول من وضع فلسفة دينية متكاملة حول أسس العقيدة اليهودية، ملخصا هذه العقيدة في تسعة مبادئ، يتضح فيها تأثير الفكر الإسلامي عموما و المعتزلي خصوصا. و لم يكن عمل الفيومي في تلخيص و تحديد العقائد اليهودية الربانية، إلا ضرورة فرضتها ضخامة الاحتجاج القرائي، والذي كان بدوره أكثر استيعابا للفكر الإسلامي وأشد تأثرا به.

[1] عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، مج5، ص157،330 ويضيف عن الاحتجاج القرائي أنه«من المتفق عليه أن الفرقة القرّائية تمثل أكبر احتجاج على اليهودية الحاخامية حتى العصر الحديث (حين ظهرت الفرق اليهودية الحديثة، وخصوصاً اليهودية الإصلاحية)». المرجع نفسه، ص330

ثانيا: علاقتهم بالربانيين

كانت العلاقة بين القرائين والربانيين دائمة علاقة كراهية وحقد، وقد أفتى بعض الربانيين ومنهم سعديا الفيومي، برفض عودة القرائي إلى مذهب الربانيين، على اعتبار أنه مرتد عن الدين[1]، وينقل القرائي مراد فرج عنه: «والمأثور عن سعديا أن لا نؤاخيهم إلى الأبد»[2]، وقد وصفهم بأنهم "خوارج" و"مارقون عن اليهودية"، وأنهم انجروا وراء الثقافة الإسلامية وتأثروا بها، وسمى زعيمهم عنان "خارجيا" و"جاهلا" ونسبه إلى قلة العقل[3]، ومن الطريف أن ردود القرائين على سعديا وكتاباته في نقد آراء فرقتهم استمرت قرونا طويلة حتى عصرنا الحالي، ويعتبر مؤرخوا اليهودية نقده لهذه الفرقة وهجومه عليها رأس الأسباب التي أعاقت انتشارها وتوسعها[4].

وقد خفف موسى بن ميمون من حدة حكم سعديا ورأى ضرورة معاملتهم باحترام وتواضع طالما أنهم لا يسبون السلطات الربانية، وأنه يمكن الاختلاط بهم وختن أطفالهم ودفن موتاهم وتقديم العزاء لهم. أما الموقف الحاخامي التقليدي فيعتبرهم مرتدين عن اليهودية، ويحرم الزواج منهم ويعتبره زنا والأطفال الناتجين عنه غير شرعيين ولا ينتمون إلى شعب الله المختار[5]، وقد ألف في القرن التاسع عشر الحاخام التركي سلومون كمخي كتابا، تضمن هجوما قاسيا على القرائين، وصفهم فيه بأنهم حيوانات وأنه لا يجوز تعليمهم التوراة، بل أباح قتلهم كذلك[6].

كما أن القرائين من جانبهم أمروا مبكرا من قبل زعمائهم، أن ينفصلوا عن التلموديين ولا يساكنوهم، ومن ذلك ما أفتى به "يهودا هداسي" أشهر علمائهم في بيزنطة، حيث يقول:« إن من

---

[1] حسن ظاظا، مرجع سابق، ،ص255

[2] مراد فرج، القراؤون والربانون، مصدر سابق، ص88

[3] جعفر هادي حسن، مرجع سابق ، ص76

[4] المرجع نفسه، ص98،100،97

[5] محمد خليفة حسن، مرجع سابق، ص314

[6] جعفر هادي حسن، مرجع سابق ،ص99

يسكن مع التلموديين ويعيش معهم، ويسمع قولهم ويسكت عليه، فإنه كافر مثلهم ومصيره مصيرهم»[1].

[1] المرجع نفسه، ص351، 352

المبحث الثاني: مجالات تأثر القرائين بالفكر الإسلامي

تأثر القراؤون بالفكر الإسلامي في عديد المجالات، ولكننا سنقتصر في هذا البحث الموجز على ذكر أهمها، وهي كالآتي: علم الكلام، وأصول الفقه، والفقه، وعلوم اللغة.

المطلب الأول: علم الكلام

يؤكد عديد الباحثين الغربيين المعاصرين على أثر علم الكلام الإسلامي، خاصة الاعتزالي منه في علماء اليهود عموما، والقرائين منهم على وجه الخصوص، حيث أنهم كانوا أشد تأثرا به، وأكثر تقبلا له[1]، كما أن هذا الأثر لم يكن خافيا على علماء اليهود القدماء حيث نجد موسى بن ميمون يسجله في كتابه "دلالة الحائرين"، حيث يقول فيه: « واتفق أيضا أن أول ابتداء الإسلام بهذه الطريقة كانت فرقة ما، وهي المعتزلة، فأخذوا عنهم أصحابنا ما أخذوا وسلكوا في طريقهم...»[2]، كما أن المسعودي (ت 346هـ) من قدماء علماء المسلمين، وهو الخبير بفرقهم ومتكلميهم نبه إلى هذا الأثر، حيث يذكر أنهم «ممن يذهب إلى العدل والتوحيد»[3]، وهو مذهب المعتزلة كما هو معلوم.

ويذكر بعض الباحثين أن القرائين من أوائل اليهود الذين قلدوا المعتزلة في محاولتهم عقلنة المعتقدات اليهودية، وقد تبنى القراؤون آراء المعتزلة بكل تفاصيلها، وكان أحيانا من الصعب التفرقة فيما إذا كان المكتوب لواحد من القرائين اليهود أو لمسلم. وقد وجدت في مجموعة "أبراهام فركوفتش" بالمكتبة الوطنية الروسية، بعض مؤلفات المعتزلة التي كانت في حوزة القرائين، مثل كتاب "تصفح الأدلة" لأبي الحسين البصري (ت436هـ)، الذي وجدت منه أجزاء لأكثر من نسخة،

---

[1] من هؤلاء: Georges Vajda, Introduction a la pensée juive du moyen age, Maison des Sciences de I'Homme and Cambridge University Press, Paris- Cambridge, 1996, P.39
Colette Sirat, A history of jewish philosophy in middle age, Librairie Philosophique J. Vrin. Paris, 1947, p.38

[2] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، نقله إلى العربية وقدم له: حسين أتاي، منشورات الجمل، بغداد- بيروت،2011، ص186

[3] نص المسعودي كالآتي: «والعنانية وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد» علي بن الحسين المسعودي، مصدر سابق، 1938، ص98، والعنانية من أسماء فرقة القرائين.

و على بعض النسخ مـن الكتـاب تعليقـات بالعبريـة[1]، مـع أن هـذا الكتـاب مفقـود كليـا في العـالم الإسلامي[2]!

ونجد أن قضايا متكلمي القرائين هي قضايا متكلمي المسلمين، «فالعالم حادث غير قديم، وله ابتداء وله آخر وهو جسم، وإذا كان حادثا فلابد لـه مـن محـدث وهـو الله، والله أزلي قـديم لم يـزل، وثبوت القدم عنده نفي للعدم، وليس هو بجسـم، عـالم بـما جـل ودق، وهـو حـي ثبـت لـه العلـم والقدرة، وحياته عقل محض، وهو هي وهي هو، وهو مريد بإرادة، قادر بقدرة»[3].ومـن أهـم وجـوه التأثر مهـاجمتهم الاتجـاه التشـبيهي السـائد في اليهوديـة وبخاصـة في الأجـادا، وفي الأدب الصـوفي اليهودي[4].كما أنهم يميلون إلى القول بحريـة الإرادة والاختيـار الإنسـاني[5]، وهـذا عكـس مـا ذكـره صاحب الملل والنحل الذي جاء فيه: «فالربانيون كالمعتزلة فينا، والقراؤون كالمجبرة والمشبهة»[6].

وبخصوص العدل الإلهي نجد تأكيدا- كما هو عند المعتزلة-عـلى ضرورة تعـويض آلام غـير المكلفين من الأطفال والحيوانات[7]. وعن عقيدة التعويض هذه،نجد موسى بـن ميمـون يؤكـد عـلى رفضها، معتبرا إياها عقيدة مستحدثة ذات أصل اعتزالي، حيث يقـول:« أمـا حـديث هـذا العـوض للحيوان فلم يسمع قط في ملتنا قديما بوجه ولا ذكره أحد من الحكماء لكن بعض الجـاؤنيم [المفتـين] عليهم السلام لما سمعه من المعتزلة استصوبه واعتقده»[8]، وظـاهر مـن الـنص اعتنـاق بعـض علـماء الربانيين من الجاؤونيم لهذه العقيدة أيضا.

---

[1] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص110،111

[2] الباحثة الألمانية سابين شميدكِه: تأثر اللاهوتيين اليهود بفكر المعتزلة أحد الوجوه المذهلة في تاريخ الحركة، حوار أجراه هيثم مزاحم، عن موقع:http://www.elnashra.com/news/show/637989/ بتاريخ: 05/ 03/ 2017

[3] أحمد شحلان، مرجع سابق، ص229

[4] محمد خليفة حسن، مرجع سابق، ص311

[5] عرفان عبد حميد فتاح، اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، عمان، ط1، 1997، ص98

[6] الشهرستاني، مصدر سابق، ص172

[7] Georges Vajda, Op.Cit , p.65

[8] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، مصدر سابق، ص483

وقد اشترط بعض القرائين على من يذبح أن يكون معتقدا بفكرة التعويض، أما من لا يؤمن بذلك، فيكون ذبحه باطلا، ويكون أكل الحيوان محرما[1].

و من أمثلة التأثير الإسلامي في مؤلفات القرائين، كتاب الأنوار المراقب للقرقساني، حيث تبرز فيه آثار علم الكلام خصوصا المعتزلة الممثلة في آراء النظام، الذي أثر كثيرا في أعلام اليهود الذين عاصروه أو الذين جاؤوا بعده[2]. ومن المسائل التي قلد في مناقشتها علماء المسلمين، وهي كثيرة: مسألة كون الله جسماً أو ليس بجسم، وكذلك مسألة نفي التشبيه عنه، ومسألة رؤية الله بالأبصار وعدمها، وكذلك مسألة صفاته من حياة وقدرة وعلم، وفيما إذا كان كلام الله مخلوقا أو غير مخلوق. كما تطرق إلى مسألة تناسخ الأرواح، حيث انتقد هذه الفكرة بشكل مفصل ورفضها، ونقده لها فيه شبه كبير بنقد متكلمي الإسلام[3].

فالقرقساني كغيره من القرائين يرفض تجسيم الإله وتشبيهه، وعلى هذا يذم الربانيين الذين أجازوا ذلك حسبه في التلمود وغيره من كتبهم، حيث يقول:«فلنبتدئ بقولهم [أي الربانيين] في البارئ جل وعز فإنهم أجازوا عليه التشبيه والتجسيم ووصفوه بأقبح الصفات وأنه ذو أعضاء ومساحة وحدُّوا مساحةَ عضوٍ عضوٍ منه وكم يكون ذلك من فرسخ وذلك في كتابهم الذي يسمونه שיעורקומה[شيعور قوما] معنى ذلك مقدار القامة يريدون مقدار البارئ جل وتعالى هذا غير ما يذكرونه عنه في الתלמוד[التلمود] وغيره من كتبهم من الأخبار والأفعال وسائر الأمور التي لا تليق ببعض المخلوقين فضلا عن الخالق تعالى»[4]، كما أنه يقول بخلق كلام الله كالمعتزلة، وهي من

---

[1] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص417

[2] أحمد شحلان، مرجع سابق، ص230

[3] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص113،118،119

[4] القرقساني، مصدر سابق، مج1، ص15، وبخصوص كتاب "شيعور قوما" فهو مؤلف صوفي يرجع إلى الفترة الجاؤونية أو إلى فترة أسبق، وهو ينسب لله أبعادا هائلة، وقد أدين من الكثيرين بأنه مفرط في التشبيه، والذين يدافعون عنه يرون أنه يجب أن لا يفهم فهما حرفيا، أنظر هاري. أ. ولفسون، فلسفة المتكلمين في الإسلام، تر: مصطفى لبيب عبد الغني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2009، ج1، ص171 وقد كان ابن حزم على علم بوجود هذا الكتاب حيث ذكره في موسوعته

المسائل التي أثارت اختلافا عنيفا بين المسلمين[1]، حيث يقول في هـذا الخصـوص: «ففضَّـل الله جـل وعز موسى عليه السلام، وخصه من الخطاب بما لم يخص به غيره من سائر الأنبياء، وهو أن اخترع له كلاما أقامه في شيء من الأشياء إما هواء أو نار أو غير ذلك فأسمى نفسه بذلك متكلما مكلما لموسـى كما يكلم الإنسان صاحبه من فمه حتى يجعله في فمه وكما يواجهه بالكلام شِفاها بغير واسطة»[2]. وقد وُجد قراؤون آخرون يقولون بخلق كلام الله مثل القرقساني، ومن هؤلاء "يافث بـن إيـلي"، حيـث يقول: «إن كلام الله يخلق خاصة للوحي، وهو لا يختلف عن كلام الإنسان الذي يبتدع في وقته»[3].

ومن أعلام الفكر القرائي "أبو يعقوب يوسف البصير" صاحب كتاب "المحتـوي"، والـذي نجده يتبع فيه وفي آراءه عموما، آراء القاضي عبد الجبار ، وهو أحد كبار المعتزلة المشهورين، ويدافع عنها، كما يذكر بعض المتكلمين بالاسم[4]. و من تلاميذ البصير "أبو الفـرج فرقـان بـن أسـد"، تـابع كأستاذه آراء المعتزلة، وقد ترجمت مؤلفاته ومؤلفات أستاذه إلى العبرية منذ القرن الثاني عشر، على يد تلاميذه الذين قدموا إليه من القسطنطينية حتى يعلمهم اللغة العربية[5].

المطلب الثاني: أصول الفقه

على خلاف الربانيين اعتمد القراؤون كليا في استنباط أحكامهم الشرعية على التوراة، ولما كان هذا غير كاف لاستيعاب المسائل المتشعبة في الفقه، فقد بحثوا عن أصول أخرى إلى جانـب التـوراة، فوجدوا ضالتهم في أصول الفقه الإسلامي، فاعتمـدوا عليهـا واسـتعانوا بهـا، ولهـذا نجـد أصـول

"الفصل"، حين نقده لليهودية، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1996 ج1، ص324

[1] لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة عند المعتزلة يراجع: أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: المعتزلة، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1985، مج1، ص130-140

[2] القرقساني، مصدر سابق، مج1، ص177

[3] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص118، و علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط2، 2013، ص79

[4] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص119

[5] Colette Sirat, Op. Cit, p.55

الأحكام لديهم تشبه كثيرا أصول الأحكام عند المسلمين، وهي عندهم كالآتي: الكتاب، والنقل، والقياس، والإجماع[1]. وفيما يلي شرح موجز لها:

أولا: الكتاب

وهو التوراة بمعناها العام (أي أسفار العهد القديم جميعها)، و يطلقون عليه أحيانا النص، وهو عندهم المصدر الأول والأهم لمعرفة الأحكام الشرعية، ولقدسيته عندهم فرض علماؤهم على القرائين أن يقرؤوه بتعمق باستمرار، وهذا أحد شروط الاجتهاد عندهم، كما عليهم أن يعرفوا لغة الكتاب ويفهمونها. وقد ألفوا كتبا في القراءات المختلفة للتوراة، مقتفين أثر علماء الإسلام في تآليفهم عن القراءات القرآنية، وللقرائين دون غيرهم من اليهود اهتمام خاص بهذا المجال. ويعتقد أن القرائين هم أول من ألف تفسيرا للتوراة من اليهود، وقد اتبعوا في هذا أيضا علماء الإسلام، حيث أن اليهود لم يعرفوا علم التفسير قبل ظهوره عند المسلمين[2].

ثانيا: النقل (الرواية)

ويسمونها بالعبرية "هاعتقاه" وسماها بعضهم "شلشلة هاعتقاه" (سند النقل/ الرواية)، وقد اعتمدوا عليها في استنباط الأحكام كاعتماد المسلمين على السنة النبوية، والرواية الصحيحة عندهم هي الرواية التي كانت بيد الأمة بأسرها أو بيد أكثرها، وليس بيد قوم يسير، وإلا فهي رأي وليست رواية[3].

وقد قام "موسى بشياجي" (ت1572م) أحد علماء القرائين بدراسة الروايات وفحصها، وذكر السلسلة الصحيحة للرواة الثقات من اليهود، الذين يؤخذ برواياتهم ، من موسى عليه السلام

---

[1] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص125، تقتصر بعض المؤلفات على ذكر ثلاثة أصول فقط ولا تذكر النقل، أنظر محمد جلاء إدريس، مرجع سابق، ص77، ومراد فرج، القراؤون والربانون، مصدر سابق، ص47

[2] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص108،125،126

[3] المرجع نفسه، ص127،128 والقرقساني، مصدر سابق، ج1، ص134

وانتهاء بالأمير بوعز حفيد عنان بن داود، أي أنه أخضع الروايات لما يسمى في علم الحديث بـالجرح والتعديل، الذي وضع أسسه علماء الإسلام[1].

ومن أمثلة استفادة الأحكام من النقل ما يـذكره القرقسـاني بخصـوص كتابـة عقـد الـزواج: «ومن سأل عن كتابة كتاب التزويج، الذي هو الכתובה [الكتوبـاه] مـن أيـن وجـب ولـيس نـرى لذلك في الكتاب أثرا، كان الجواب في ذلك النقل والوراثة»[2]

ثالثا: القياس

ويطلق عليه في العبرية "هاقش"، وقد أصبح منذ ظهور القرائين أحد أصولهم، فقد اسـتعمله عنان بن داود و النهاوندي، ولكنه تطور مع الزمن، وتعددت أنواعـه، ووصـلت إلى مـا يقـرب مـن ثمانين نوعا[3].

وبخصوص هذا الأصل أو الدليل الفقهي يقول أحد الباحثين: «والأمر الذي لا جدال فيه أنه لا يوجد نص توراتي يشير من قريب أو بعيد إلى القياس، والتبرير الأكثر قبولا هو انتقال هذا الأصل الفقهي من المذاهب الإسلامية إلى القرائية التي نشأت بين أحضان المسلمين على نحو ما بينـا وبتـأثير من بعض مذاهب المتكلمين، الأمر الذي جعل علماء الربانيين يهاجمون ذلك الأصل الفقهي ، إذ يرى سعديا جاؤن- على سبيل المثال- أن اتباع القرائين للهوى، والمتمثل في القيـاس، قـد أدى إلى الحيـاد عن الطريق السليم ومن ثم كثرت الخلافات وسار كل واحد منهم خلف اعتقاده»[4]

---

[1] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص129

[2] القرقساني، مصدر سابق، ج3، ص730، وجاء في شعار الخضر بخصوص كتاب أو وثيقة الزواج: «الوثيقة كناية عن العقد يثبت كتابة ويوقع عليه الشهود العدول بأن بنت فلان تزوجت من فلان بحضرة كبار السن من بني إسرائيل بالشروط المدونة من نفقة وكسوة وغير ذلك» مراد فرج، شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين، مصدر سابق، ص70

[3] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص130

[4] محمد جلاء إدريس، مرجع سابق، ص81

فسعديا جاؤون وهو الحاخام الرباني يحرم الاجتهاد، ويرى وجوب إتباع ما جاء من أحكام في التلمود[1]، وهذا على خلاف القرائين الذين يعتبرون هذا الأخير كتابا يحـوي آراء واجتهـادات بشرـية غير ملزمة لهم، بل عليهم أن يعملوا عقـولهم في التـوراة لاسـتخراج مـا فيهـا مـن أحكـام مـاداموا يملكون الأهلية العلمية والأخلاقية لذلك.

رابعا: الإجماع:ويسميه القراؤون بالعبرية "قبوص"، وأيضا "عِدة" التي تعني "جماعة"، و قد اختلفوا، كما اختلف أصحاب المـذاهب الفقهيـة الإسـلامية، في تعريـف الإجمـاع وطبيعتـه. ويـرى القرقساني أن الإجماع هو الذي يكون بيد الأمة بأسرها، ولا ينسب إلى قـوم بأعيـانهم، ولـيس عليـه دليل من النص أو القياس[2].

المطلب الثالث: الفقه

للفقه الإسلامي أثره الواضح في الفقه اليهودي، ومن ذلك أن كتاب "مشنيه توراه" أو "تثنية التوراة" للحاخام موسى بن ميمون، وهو من أمهات كتبهم التشريعية، بل فضله اليهود عند ظهوره على الرجوع إلى التلمودين البابلي والأورشليمي[3]، واعتبره بعضهم أفضل مدون أنتجته قرائح اليهود بعد تدوين التلمود[4]. فهذا الكتاب، باعتراف الباحثين اليهود، «الذي يبهرنا ببنائه وتركيبه ليس سوى ترتيب لمواد الشريعة الضخمة وفقا للنظام الذي وضعه علماء الفقه المسـلمون»[5]. والواقـع أن التـأثير

---

[1] يقول سعديا الفيومي في كتابه الشهير "الأمانات والاعتقادات":«فمن ينظر على هذه الجهة قد يصيب وقد يخطئ وعلى أن يصيب فهو على غير دين وإن أصاب الدين وثبت عليه لم يؤمن انتقاله عنه بشبهة تنتصب له فتفسد عليه اعتقاده أما نحن فمجمعون على تخطئة فاعل هذا وإن كان نظارا» سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، نشر: لانداور، ليدن، 1880، ص21

[2] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص133،134

[3] موسى بن ميمون، تثنية التوراة (نسخة مختصرة ومختارة)، تر: محمد خليل حسين، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، ط1، 2016، ص5 (من مقدمة المترجم)

[4] إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون، من دون معلومات نشر، ص53

[5] نفتالي فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، تر: محمد سالم الجرح، د.ط، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 2001، ص9،10

الإسلامي لم يقتصر على الترتيب أو الجانب الشكلي فقط في الفقه اليهودي، بل امتد إلى جانب المضمون أيضا، وهذا ما سيتضح لنا من خلال العنصرين الآتيين اللذين اخترناهما لبيان أثر الفقه الإسلامي في الفقه اليهودي القرائي.

أولا: العبادات

قبل الحديث عن التأثير الإسلامي في عبادات القرائين تفصيلا، نود التنبيه على مؤلف لأحد الباحثين اليهود، والذي ترجم من العبرية إلى العربية قبل عدة سنوات، تحت عنوان "التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية"، حيث تناول فيه التأثيرات الإسلامية في عبادة اليهود الربانيين، وإن كنا لا نعدم ذكرا لتأثر القرائين أيضا، ونجد هذا الباحث اليهودي في مقدمة مؤلفه يؤكد على هذا التأثير الإسلامي، مبينا كيفية تسربه، رغم تحريم اليهودية على أتباعها التعود بعادات الأمم، حيث يقول: «ولكن الذي لم ينل ما يستحقه من البحث ولا يزال يحتاج إلى كثير من الدرس، هو أن ظاهرة التأثير تغلغلت أيضا إلى قلب العمل الديني والعبادة الدينية، كما ظهر في شعائر الصلاة في الكنيس، وهذه الظاهرة تحتوي تجديدا زائدا، فإن اليهودية منذ القدم شادت من حول حدود العمل الديني سورا عاليا كي تمنع تسلل التيارات الخارجية...وفيما يتعلق بدين العرب فقد تضافرت عوامل عدة على تهيئة القلوب لقبول تأثيره وارتضائه: الأخوة في الأصل واللغة، والتقارب في الطباع، ثم قبل كل شيء التوحيد الشريف الذي امتاز به ذلك الدين، الأمر الذي أدى إلى استثناء عدد من الجاءونيم للمسلمين من بين بقية الأمم فيما يتصل بالقوانين الخاصة المنصوص عليها بحسب حكم التلمود. وتبعهم الحبر موسى بن ميمون، فالدين الإسلامي وحده لا يعد في نظره وثني تماما. ثم سار ابنه الحبر إبراهيم الميموني خطوات أبعد من ذلك فجاء وأخرج المسلمين من القاعدة القائلة لا تتعودوا بعادات الأمم وأفتى بأن الذي يحاكي عاداتهم لا يعد مستبيحا لما حرمته القاعدة.»[1] ثم يوضح بعد ذلك أن التأثير الإسلامي ظهر بطريقتين[2]:

---

[1] المرجع نفسه، ص10، 11

[2] المرجع نفسه، ص12

أولا- باستيعاب عادات تختص بالعبادة لا أساس لها في التقاليد الإسرائيلية.

ثانيا- بإحياء عادات قديمة اندثرت من عند اليهود تحت تأثير أسباب معينة.

ثم قام بسرد عديد الأمثلة في عشرات الصفحات من كتابه لهذا التأثير.

والواقع أن القرائين كانوا أكثر تأثرا من الربانيين في هذا المجال، وقد أخذوا بها عند المسلمين خاصة فيما يتعلق بالطهارة والصلاة، وهي أمور لا يمكن تأصيلها في الفكر اليهودي، ومن هذه الأمور فيما يخص الطهارة تفاصيل الوضوء الإسلامي من غسل للوجه واستنشاق ومضمضة ومسح للرأس و مسح للأذنين وغسل للرجلين[1].

وبخصوص غسل الرجلين قبل الصلاة لم يكن هذا الأمر قاصرا على القرائين بل عمَّ الربانيين أيضا من يهود البيئة الإسلامية، رغم أنه لا يملك أي أساس في الروايات التلمودية التي تقضي فقط بغسل اليدين قبل الصلاة[2]، وعن هذا الأمر يقول الباحث اليهودي نفتالي فيدر: «إن عادة غسل الرجلين قبل الصلاة مأخوذة من العبادة الإسلامية. وعندما تتمثل أمام أعيننا الأهمية البالغة التي انفرد بها الوضوء في الإسلام تتكشف لنا حقيقة قبول هذه السنة وانتشارها العظيم بين اليهود في الشرق.»[3].

وإذا انتقلنا إلى الصلاة عند القرائين فإننا نجد «أن صلاتهم اليومية الواجبة اعتمدت أساسا على التوراة، كما اعتمد المسلمون في صلاتهم على القرآن، وهي ركوع وسجود أيضا، كما عند المسلمين، فالقراؤون يقومون بعدة حركات في الصلاة من وقوف ورفع اليدين إلى السماء والركوع والسجود، وكان عنان بن داود قد أوجب ذلك، وقد فصل ذلك عالمهم المعروف ليفي بن يافث بن إيلي، فهو يذكر حركات الصلاة، ويعددها باللغة العربية، فيقول ومنها "الوقوف" و"الركوع"

[1] محمد جلاء إدريس، مرجع سابق، ص144

[2] نفتالي فيدر، مرجع سابق، ص18

[3] المرجع نفسه، ص21

و"السجود" و"البروك"، كما أنه يذكر "القنوت" أيضا، ويشرحه بقوله "هو بسط الكفين ورفعهما"، وهذا أيضا ما يذكره القرقساني»[1].

ونجد القرقساني يذم خصومه الربانيين الذين خالفوا القرائين، بقوله:«وحرموا [الربانيون] على الناس أن يلصقوا وجوههم بالأرض وقت السجود وذلك خلاف قول الكتاب [التوراة].»[2]. وقد حاول الحاخام "أبراهام بن موسى بن ميمون"(ت1237م) أن يدخل السجود في الصلاة اليهودية، لكن الربانيين رفضوا رأيه، حيث رأوا في ذلك محاكاة للمسلمين والقرائين[3].

ومن المسائل التي ترتبط بالعبادات مسألة تحديد اليوم الأول من الشهر والتي يعتمد فيها القراؤون منذ عنان، كما ذكرنا سابقا، على رؤية الهلال، كما هو الحال عند المسلمين، مخالفين بذلك بقية اليهود الذين يتبعون الحسابات الفلكية.

ثانيا: الأحوال الشخصية

يرى الباحث "محمد جلاء إدريس" أن هذا المجال بما تضمنه من قضايا الزواج والطلاق والتعدد والميراث وغيرها هو أبرز مجالات التأثير الإسلامي على القرائين، وقد قام في عشرات الصفحات من كتابه، بذكر الأصول المعمول بها عند الربانيين ثم التحول الذي أحدثه القراؤون وما يقابله في الفقه الإسلامي خاصة عند الأئمة الأربعة، ومن أهم التأثيرات التي توصل إليها هذا الباحث مايلي[4]:

يرى القراؤون فيما يخص الزواج ضرورة القبول لإتمامه واشترطوا الإشهاد كفقهاء الإسلام. وقالوا أيضا بضرورة الولي وحددوا درجاته وكرهوا إتمام الزواج دون رؤية الرجل للمرأة وانعدام الكفاءة بين الطرفين، وهي أمور فصلها الفقه الإسلامي وليس لها ما يقابلها عند الربانيين.

---

[1] جعفر هادي حسن، مرجع سابق، ص108،109

[2] القرقساني، مصدر سابق، ج1، ص16

[3] نفتالي فيدر، مرجع سابق، ص65 و جعفر هادي حسن، ص389

[4] محمد جلاء إدريس، مرجع سابق، ص109-143،140

أباح القراؤون التعدد واشترطوا له العدل، وإذا كان للتعدد أصل في التوراة لا يعمل به الربانيون، فإن العدل شرط إسلامي أصيل لا تشير إليه النصوص اليهودية.

قسموا المهر إلى مقدم ومؤخر وأفاضوا في تفاصيل ذلك على نحو إسلامي بحت، ودون الرجوع إلى أصول يهودية تقوي زعمهم.

قننوا الطلاق بما أخذوه عن المسلمين في كثير من جوانبه سواء في شروطه أم في آثاره كالعدة والحضانة.

أخذوا ببعض جوانب الميراث في الإسلام، ومن ذلك أن جعلوا للذكر مثل حظ الأنثيين بينما خصت الشرائع اليهودية الذكر بالميراث كله ومنعوا الأنثى منه.

وبخصوص هذه المسألة الأخيرة، فإننا نجد صاحب "شعار الخضر" الذي سبق الحديث عنه في المقدمة، يورد تحت عنوان ميراث البنين[1]: «ومن القائلين أيضا بمشاركة البنت للولد العلامة دانيئيل القمسي قال رحمه الله "ومنهم من جعل للبنت الثلث ضرورة إذ لا معنى لاستئثار الولد بالتركة دونها وهما من صلب واحد لكليهما ما للآخر من العطف الأبوي... فمن العدل والإنصاف أن يخصص لها الثلث أعني يأخذ الولد سهمين وهي واحدا"... ونحن اليوم لا حاكم لنا منا فعندي أن يفرض لها الثلث تتأهل به أو تستفيده مطلقا كما اتبع ذلك العلماء فعلا على ما رواه لنا العلامة داود الرئيس»

وهذا التأثير الإسلامي في هذه المسألة نجد له تأكيدا أيضا عند باحث آخر[2] قام بنقل كتاب المواريث لسعديا الفيومي وهو من كبار فقهاء الربانيين إلى الخط العربي، كما قام هذا الباحث في كتابه أيضا بدراسة للمواريث عند اليهود والمسلمين وغيرهم، وهو يرى أن رأي القرائين في هذه المسالة ليس إلا أثرا من آثار الفكر الإسلامي.

[1] مراد فرج، شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين، مصدر سابق، ص154

[2] عبد الرزاق قنديل، المواريث في اليهودية والإسلام دراسة مقارنة، مركز الدرسات الشرقية، القاهرة، د.ط، 2008، ص134

المطلب الرابع: علوم اللغة

بعد الفتح الإسلامي بدأ اليهود في استخدام اللغة العربية وحلت بذلك محل اللغة الآرامية التي استخدمها اليهود سابقا، ودونوا بها مؤلفاتهم بالأبجدية العبرية، ويلاحظ أن القرائين هم من بدؤوا الكتابة بالعربية الخالصة أو العربية بالحرف العبري، وأول من كتب بالعربية بالحرف العبري القرائي سليمان بن يروحام، حيث كتب تفسيرا لأسفار المزامير والمراثي والجامعة، ثم القرقساني وغيره، ثم انتقلت الكتابة بالعربية الخالصة والعربية بالحرف العبري من يهود العراق إلى يهود مصر، ثم شمال إفريقيا والأندلس، ولم يعد هذا النوع من الكتابة قاصرا على القرائين، بل انتقل إلى الربانيين الذين دونوا أكثر مؤلفاتهم بالعربية لكن بالحرف العبري[1]، هذا عكس مؤلفات القرائين العربية التي كانت جلها بالحرف العربي[2].

ويعلل الباحث اليهودي "أليعزر شلومو شلوسبيرج" تحول اليهود إلى الكتابة باللغة العربية في جميع الميادين تقريبا بقوله: «وقد أهمل اليهود تدريجيا، في القرون الأولى التي تلت الفتح الإسلامي، لغتهم العبرية واللغة الآرامية التي اعتادوا أن يكتبوا بها في العهود السابقة، وتحولوا إلى الكتابة باللغة العربية بشكل شبه مطلق. وباستثناء الشعر فقد كتب اليهود كل إنتاجهم بالعربية، منهم من كتب بالفصحى ومنهم من كتب بالفصحى المشوبة بلهجات محلية، وعلينا أن نعزوا هذا التحول شبه المطلق إلى الكتابة بالعربية إلى أنها كانت مفهومة للجميع، كما نستنتج من قول الحاخام بحياي بن يوسف بن فقودة الذي يعلل تأليف كتابه بالعربية "لسهولة فهم أهل عصرنا لها"»[3].

---

[1] نتنئيل بيرف فيومي، بستان العقول، نقلته إلى الخط العربي: سهير دويني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014، ص16-18

[2] المصدر نفسه، ص17 و أيضا

Colette Sirat, Op.Cit, p.38

[3] أليعزر شلوموشلوسبيرج، الحاخام سعيد بن يوسف الفيومي: اللغة العربية والحضارة الإسلامية في مؤلفاته، مجلة الكرمل، حيفا، 1994، ع15، ص88،89

وأما عن علوم اللغة خاصة، فنجد أن دائرة المعارف اليهودية تذكر بأن اليهـود لم يؤلفـوا كتبـا علمية في قواعد لغتهم إلا بعد تتلمذهم للعرب، وبعد أن نشأوا في نهج الثقافة العربية نشأة مكنـتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها[1].

وقد استشهد اليهود في كتاباتهم "بالشعر والأدب العربي وبكتب النحاة والفلاسـفة العـرب، بـل إنهـم لم يتحرجـوا في تأكيـد آرائهـم بالاقتبـاس مـن القـرآن الكـريم أو الأحاديـث، وقـد لازم استشهادهم من العهد القديم والتلمود والمشنا وأقوال الحكماء والأدباء اليهود"[2].

ويـرى الباحـث اليهـودي الشـهير Salomon Munk (ت1867م) بـأن خـلاف القـرائين مـع الربانيين دفعهم إلى ضبط اللغة وشروحها، وهذا ما جعل نشأة النحو عنـدهم قبـل خصـومهم مـن الربانيين بقيادة سعديا الفيومي، وعلى هذا بدؤوا في تحليل عبارات التوراة تحليلا عقليا وفي أثناء ذلك بحثوا في اللغة وقواعدها، حيث أن ذلك البحث كان ضروريا لمحاجة خصومهم الربانيين[3].

وفي نهاية هذا المبحث ينبغي أن نذكر أن تأثر القرائين بالفكر الإسلامي، نتج عنه اعتناق كثـير مـنهم الإسـلام، مقارنـة بـاليهود التلمـوديين، وهـو مـا يـذكره السـموأل بـن يحيـى المغـربي[4](ت حوالي570هـ)، أحد مشاهير علماء اليهود الذين أسلموا.

الخاتمــة

في ختام هذا البحث، يمكن أن نجمل أهم النتائج المتوصل إليها في مايلي:

- ارتبط ظهور القرائين تاريخيا بالحَبر العراقي "عنان بن داود" الذي كان مرشحا لرئاسة يهود الدولة الإسلامية، ولكن الحاخاميين (الربانيين) رفضوا تنصيبه نظرا لآرائه التحرريـة وعـلى رأسـها

[1]إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص7،8

[2]سلوى ناظم، المعاجم العبرية دراسة مقارنة، د.د، د.ب، ط1، 1988، ص18

[3] إبراهيم موسى هنداوي، مرجع سابق، ص6،7

[4] شموائيل بن يهوذا ، منامات السموأل ويليه بذل المجهود في إفحام اليهود، دار صفحات، دمشق، ط1، 2014، ص151

رفضه تقديس التلمود، كما قاموا بمحاربته ومحاربة أتباعه، وقد مَثَّل الاحتجاج القرائي أضخم احتجاج ضد اليهودية الحاخامية الرسمية إلى حين ظهور اليهودية الإصلاحية في العصر الحديث.

– تجلى الأثر الإسلامي في فكر القرائين في عديد المجالات، من أبرزها علم الكلام، حيث أنشأ القراؤون فكرا كلاميا على نسق الفكر الاعتزالي، متبنين الآراء الاعتزالية، وهو ما أثبته البحث من خلال الأدلة والأمثلة التي قدمها.

– وجد القراؤون ضالتهم في أصول الفقه الإسلامي، نظرا لأن اعتمادهم الكلي على التوراة لم يكن كافيا لاستيعاب المسائل الفقهية المتشعبة، ومن أبرز مظاهر تأثرهم به أخذهم بالقياس، وفتحهم باب الاجتهاد الذي كان الربانيون قد سدّوه، اكتفاء بما جاء في التلمود من أحكام.

– تأثر الفقه القرائي بالفقه الإسلامي، وقد بيَّنا هذا الأمر من خلال الأمثلة الفقهية التي قدمناها في مجالي العبادات والأحوال الشخصية.

– تأثر القراؤون باللغة العربية وعلومها، حيث كانوا السباقين من اليهود في التأليف بها، كما أن جل هذه المؤلفات كانت بالعربية الخالصة، وهذا عكس الربانيين الذين دونوا جل مؤلفاتهم العربية بالحرف العبري، كما أن منهجهم القائم على الاجتهاد في فهم النص الديني، جعلهم روادا في علوم اللغة العبرية، مستفيدين في ذلك من المدونات اللغوية العربية.

– نتج عن تأثر القرائين بالفكر الإسلامي، أنهم كانوا أكثر اعتناقا للدين الإسلامي، مقارنة بخصومهم الربانيين.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- كتب القرائين

1.مراد فرج، شعار الخضر: في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين، مطبعة الرغائب، مصر، 1917

2.مراد فرج، القراؤن والربانون، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2011

3.يعقوب القرقساني، كتاب الأنوار والمراقب، تح: ليون نموي، نيويورك، 1939

ثانيا- الكتب العربية والمعربة

4.إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت

5.أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: المعتزلة، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1985

6.أحمد شحلان، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، دار أبي رقراق، الرابط، ط1، 2006

7.إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون، من دون معلومات نشر

8.بنيامين بن يونة التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تر: عزرا حداد، تح: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق، ط1، 2014

9.البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تح: إداورد ساخاو، ليبزج، 1878

10.جعفر هادي حسن، تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العصر الحاضر، العارف للمطبوعات، بيروت، ط2، 2014

11.حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، مرسم، الرباط، د.ط، 2000

12.ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1996

13.حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ط4، 1999

14.سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، نشر: لانداور، ليدن، 1880

15.سعديا الفيومي، تفسير التوراة بالعربية، أخرجه وصححه: يوسف درينبورج، نقله إلى الخط العربي وقدم له وعلق عليه: سعيد عطية مطاوع وأحمد عبد المقصود الجندي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2016

16.سلوى ناظم، المعاجم العبرية دراسة مقارنة، د.د، د.ب، ط1، 1988

17.شموائيل بن يهوذا ، منامات السموأل ويليه بذل المجهود في إفحام اليهود، دار صفحات، دمشق، ط1، 2014

18.الشهرستاني، الملل والنحل، أشرف عليه وقدم له: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2008

19.عبد الرزاق قنديل، المواريث في اليهودية والإسلام دراسة مقارنة، مركز الدرسات الشرقية، القاهرة، د.ط، 2008

20.عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999

21.عرفان عبد حميد فتاح، اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، عمان، ط1، 1997

22.عطية القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، مركز الدرسات الشرقية، القاهرة، د.ط، 2001

23.علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، صححه وراجعه: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، مصر، 1938

24.علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط2، 2013

25.محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ط2، 2001

26.محمد جلاء إدريس، التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط، 1993

27.محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2016

28.موسى بن ميمون، تثنية التوراة (نسخة مختصرة ومختارة)، تر: محمد خليل حسين، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، ط1، 2016

29.موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، نقله إلى العربية وقدم لـه: حسـين أتـاي، منشـورات الجمـل، بغداد- بيروت،2011

30.عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط، 1994

31.مديرية الدراسة والتوثيق، الإثنيات العرقيات والطوائـف اليهوديـة في إسرائيـل، مركـز باحـث للدراسات، بيروت، ط1، د.ت

32.نتنئيل بيرف فيومي، بستان العقول، نقلته إلى الخط العربي: سهير سيد أحمد دويني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014

33.نفتالي فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، تر: محمـد سـالم الجـرح، مركـز الدراسـات الشرقية، جامعة القاهرة، د.ط ، 2001

34.هاري. أ. ولفسون، فلسفة المتكلمين في الإسلام، تر: مصطفى لبيب عبد الغني، المركـز القـومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2009،ج1

ثالثا- الكتب الأجنبية

35.Colette Sirat, A history of jewish philosophy in middle age, Maison des Sciences de I'Homme and Cambridge University Press, Paris- Cambridge, 1996

36.Georges Vajda, Introduction a la pensée juive du moyen age, Librairie Philosophique J. Vrin. Paris, 1947

رابعا- الـمـجـلات

37.أليعزر شلوموشلوسبيرج، الحاخام سعيد بـن يوسـف الفيـومي: اللغـة العربيـة والحضـارة الإسلامية في مؤلفاته، مجلة الكرمل، حيفا، 1994، ع15